

# أم كلثوم

□ سيرة الحب



- سر إصرارها على النوم في بدروم الفيلاً
- سقطت من فوق المسرح فكانت أزمة صورة
- مكالمة تليفونية كشفت أنها تعيش حالة حب
- تأخر بليغ حمدي عن موعد البروفة فأهدته سيارة
- حقيقة إشاعة زواجها من مصطفى أمين

كثيرة هي السطور والصفحات التي كتبت عن كوكب الشرق «أم كلثوم» .. سيرتها ومسيرتها؛ بل إن عشرات الكتاب والباحثين قدموا الكتب والرسائل العلمية التي تبرز عبقرية «أم كلثوم» وعطاءها الفني المتميز، لكننا هنا نحاول أن نستشعر نبضاتها وخلجاتها، ونتعاشش معها في أفراحها وأتراحها في بعض الأوقات والمواقف، نستكشف كوامن علاقاتها بالناس وعلاقات الناس بها .. نلمس قمة تواضعها في نفس الوقت الذي تهزنا فيه عظمة عنقوانها وهي تشدو بأحلى الكلمات وأعذب الألحان .. باختصار إننا سنسافر في رحلة غوص إلى أعماق أم كلثوم بالكاميرا والصورة وليس بالقلم والكلمات فقط .. وهنا لم أجد غواصاً يقودنا في هذه الرحلة أفضل من المصور الكبير «فاروق إبراهيم» الذي اقترب منها كثيراً ورافقها في العديد من رحلاتها .. وكان المصور الوحيد الذي تسمح له أم كلثوم بالاقتراب منها بالكاميرا إلى أقرب مسافة .

## دُونُ نَظَّارَةَ

لم تكن أم كلثوم تسمح لأحد أن يصورها عن قرب وهي بدون نظارة إلا «فاروق إبراهيم» الذي التقط لها صورة نادرة وهي تؤدي بروفة إحدى أغنياتها مع فرقته الموسيقية بقيادة «عبده صالح». إن أم كلثوم على رغم شخصيتها القوية التي تبدو بها أمام جمهورها إلا أنها إنسانة شديدة البساطة وطيبة القلب.. كانت خلال شهور الصيف تترك حجرات «فيلتها» كلها وتنام في البدرود بحثاً عن

نسمة هواء، فلم يكن في «الفيلا» أجهزة تكييف لأن هواء المكيفات يضر بصوتها وكانت كثيراً ما تخرج لتتمشى حول «الفيلا»، ولكن بعد أن ازدحمت المنطقة التي تقع فيها «الفيلا» بالمباني والسيارات أصبحت تفضل أن تمارس رياضة المشي في «البلكونة».

## إنسانة حنونة

ويدلل «فاروق إبراهيم» على إنسانية أم كلثوم بواقعة غريبة حدثت في المغرب عندما طلب الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية من أم كلثوم أن تغني في حفل خاص للأسرة المالكة .. وكانت التعليمات بأن يكون الحفل خاصاً بكل معنى الكلمة، أي بلا رجال إعلام ولا مصورين .. ولكن «فاروق إبراهيم» بحسه الصحفي شعر بأن غناء أم كلثوم في هذا الحفل الملكي الخاص فرصة لا يمكن أن تمر دون أن يسجلها بكاميرته .. فحمل كاميرا صغيرة وأخفاها في ملابسه، وعند دخوله قاعة الحفل قال لرجال الأمن: أنا العقيد «فاروق إبراهيم» من الحراسات الخاصة وبدأت أم كلثوم الغناء. وفوجئ فاروق إبراهيم بأن الملك «الحسن الثاني» يمسك بالأوكورديون ويعزف بنفسه ضمن الفرقة الموسيقية .. كانت لقطه لا يمكن أن تمر دون تسجيل، ولكن ماذا يفعل .. وكيف يجرؤ على أن يصور جلالة الملك وهو في مقعد العازفين. وعندما انتهت أم كلثوم من الغناء أسرع الملك لتحييتها وقام بنفسه بمساعدتها في ارتداء «البالطو». وكان لا بد من تسجيل هذه اللقطات النادرة

وليكن ما يكون .. وبعد انصراف الملك وأم كلثوم للعشاء فوجئ فاروق إبراهيم بوزير داخلية المغرب في ذلك الوقت «أوفقيير» يعنفه ويأخذ منه الكاميرا .. ويقبض عليه .. وعندما علمت أم كلثوم بذلك وكانت تستعد لاستئناف الحفل، ذهبت إلى الملك وقالت له بنوع من التحدي: أنا لن أغني إلا إذا المصور بتاعي رجع حالا” .. وبالفعل لم تغن أم كلثوم إلا بعد أن اطمأنت على عودة فاروق إبراهيم هكذا كانت أم كلثوم إنسانة عظيمة .. تهتم بمصورها ومن أجله تتحدى الملك وترفض الغناء على رغم أنها كانت تستقبل وتعامل في الدول التي تزورها كالمملوك والرؤساء .

## الوسادة المنسية

ويتذكر فاروق إبراهيم الحفاوة البالغة التي استقبلت بها أم كلثوم في تونس حيث تم استقبالها بشكل رسمي ورحبت بها السيدة «وسيلة» حرم الرئيس «بورقيبة» ترحيباً عظيماً .. وأقيم حفلها الغنائي في إستاد تونس الذي اكتظ بال جماهير، وحيث شدت بأغنية «الأطلال» على مدى ساعتين ونصف وبشكل لم يسبق له مثيل .. ولا ينسى فاروق إبراهيم موقفاً طريفاً حدث في تونس حيث نسيت مرافقتها الدائمة السيدة «إحسان» إحضار الوسادة الخاصة بها والتي تأخذها معها في كل بلد تذهب إليه لأنها لا تنام إلا عليها. ولتفادي هذا الموقف اضطرروا إلى إحضار ٣٢ وسادة لتختار من بينها واحدة.

## بنتُ نُكْتة

ومثلما كانت أم كلثوم إنسانة عظيمة ورقيقة المشاعر كانت أيضا خفيفة الظل، وعلى حد تعبير فاروق إبراهيم - بنت نُكْتة - قال ذلك وهو يتذكر حفل التكريم الذي أقامته لها السفارة المصرية بالمغرب: وكان من بين الحاضرين أحد المصريين الذين استقروا في المغرب منذ سنوات طويلة الذي أخذ يلقي بنكات سخيفة، وعلى رغم تبرم الحاضرين فإنه لم يتوقف عن إلقاء النكات لفترة طويلة حتى قاطعته أم كلثوم قائلة «إنت بقى اللي جاي تنكد علينا النهادرة».. وهنا ضجت قاعة الحفل بالضحك.. ويتذكر واقعة أخرى عن خفة ظل أم كلثوم عندما كانت في زيارة للسودان وأهداها الرئيس إسماعيل الأزهري «نناسا» فأطلقت عليه اسم فاروق إبراهيم، وعندما أبدى دهشته وسألها لماذا؟.. قالت «لأنه بيعمل زيك بالضبط عمال يتنطط هنا وهناك زي ما أنت بتتنطط وأنت بتصور».. وموقف آخر حدث في السودان أيضا عندما حل يوم عيد ميلاد أم كلثوم ٣١ ديسمبر ولم يجد ما يقدمه لها بهذه المناسبة فنزل إلى حديقة الفيلا التي كانت تقيم فيها واقتطف وردة جميلة وقدمها لها مهنتا فقالت له: «ياما جاب الغراب لأمه».

## سُرعةُ بديهة

وتتواصل رحلة غوصنا في أعماق أم كلثوم التي مثلما كانت

شديدة البساطة والطيبة .. كانت شديدة الذكاء أيضا .. ويقلب فاروق إبراهيم في أكوام الصور التي أمامه ، وينتزع من بينها صورة نادرة عندما سقطت أم كلثوم على خشبة المسرح وهي تشدو في إحدى حفلاتها في العاصمة الفرنسية بأغنية «الأطلال» ، وعندما وصلت إلى مقطع «هل رأى الحب سكارى مثلنا» جن جنون الجمهور وتهافت على المسرح ، فسقطت أم كلثوم ، وقام فاروق إبراهيم بتسجيل هذا الحدث الفريد بكاميرته وسرعان ما تداركت أم كلثوم الموقف ووقفت على الفور ، وغنت بدون موسيقى وهي تشير بيدها نحو الجمهور «هل رأى الحب سكارى بيننا» مستبدلة كلمة «مثلنا» بكلمة «بيننا» وسرعان ما نسي الجمهور ما حدث ، واندمج معها بعد أن استغفرت بذكائها وسرعة بديهتها وهي تغير كلمة في هذا المقطع وتردده عدة مرات وسط تصفيق الجمهور المتواصل .. وصمم فاروق إبراهيم على إرسال صور سقوط «أم كلثوم» على المسرح إلى جريدة «أخبار اليوم» دون أن يستأذن أم كلثوم وبالفعل بعث بها مع أحد الركاب المسافرين إلى القاهرة وطلب عدم كتابة اسمه على الصور عند نشرها .. وتم نشر الصور وغضبت أم كلثوم .. وعندما ذهب «فاروق إبراهيم» إليها في الفندق وجدها نائمة . وعرضت عليه الصور المنشورة فقال لها : أكيد اللي التقط هذه الصور شخص يهودي .. فقالت له متسائلة : واللي نشر الصور يهودي أيضاً ؟ وهنا أسقط في يد «فاروق إبراهيم» ولم يكن أمامه إلا أن يعترف ويقول لها : أنا مصور وإن لم ألتقط هذه

الصور فإن «مصطفى بيه» - يقصد مصطفى أمين - سيرفدني ،  
ورجاءها ألا تزعل منه ، وهنا قالت له : الذي أغضبني أنك كذبت  
عليّ ، والرجل الذي يكذب تكون فيه كل المعاني السيئة .. وأنا  
لا أحب أن يكون بجواري رجل كذاب .. وعامدها فاروق إبراهيم  
ألا يكذب عليها مرة أخرى أبداً.

## قُبْلَةٌ عَلَى يَدِهَا

صورة وحيدة جمعت بين «أم كلثوم» ، والعندليب الأسمر  
«عبد الحليم حافظ» . وليست غرابة الصورة في قيام «عبد الحليم»  
بتقبيل يد «أم كلثوم» ، ولكن في حكاية هذه الصورة التي تعود  
بداية أحداثها إلى حفل نادى الضباط الذي حضره الرئيس «جمال  
عبد الناصر» ، وأعضاء قيادة الثورة وغني فيه «محمد عبد الوهاب»  
ثم «أم كلثوم» ، وتأخر غناء «عبد الحليم» إلى قرابة الثالثة صباحاً .  
وعندما صعد على المسرح قال : «أنا باغني بعد الست ولا أدري  
هل هذا تكريم لي أو مقلب» . وتضايقت «أم كلثوم» . وحصلت  
قطيعة تامة ، وعبثاً حاول «عبد الحليم» مصالحتها . إلى أن كان  
حفل زفاف عازف الجيتار الراحل «عمر خورشيد» في فندق هيلتون  
وكان الاثنان مدعويين فيه . وعندما شاهد «عبد الحليم» «أم كلثوم»  
اتجه إليها وأمسك بيدها وقبّلها بحرارة ، واستأذنها أن تسمح  
لفاروق إبراهيم بالسفر معه إلى تونس . فقالت له «اهه عندك  
خده .. ما هو المصور الوحيد اللي بيداري لك الباروكة» .. فرد

«عبد الحليم»: لا والله يا ست الكل .. «دي مش باروكة .. حتى شوفي»..وهنا شدت شعره لتتأكد من حقيقة كلامه .. ولم يتركها «عبد الحليم» إلا بعد أن تأكد أن «أم كلثوم» قد صفحت عنه وصالحته.

## شائعاتُ زواج

وأواصل رحلة غوصي في أعماق «أم كلثوم» الإنسانة العظيمة والفنانة الكبيرة، في محاولة لاستكشاف علاقاتها بالناس، وعلاقة الناس بها. وأتوقف عند شائعة زواج أم كلثوم بالكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين»، تلك الشائعة التي حظيت باهتمام كبير، كما أثارت جدلاً استمر فترة طويلة، وذلك عندما أكدت المؤرخة الموسيقية «رتيبة الحفني» أن كوكب الشرق قد تزوجت بالفعل من الكاتب الكبير. وأن عقد زواجهما تم حفظه في مكتب الرئيس «عبد الناصر»، كما أكدت «رتيبة الحفني» أيضاً أن «أم كلثوم» ارتبطت بزواج فعلي بالملحن «محمود الشريف»، وخرج العديد ممن اقتربوا من «أم كلثوم» يكذبون هذه الشائعات، ويؤكدون أن علاقة «مصطفى أمين» و«محمود الشريف» بأم كلثوم لم تكن تتعدى حدود الصداقة الوطيدة، وأن «مصطفى أمين» تحديداً قد لعب دوراً كبيراً، في حياة أم كلثوم الفنية، وأنه قدم لها أفكار عدد من أغانيها كما كتب لها قصة فيلم «فاطمة»، وكان أحد المقربين الذين تعود إليهم للمشورة، كما أن «أم كلثوم» قد وقفت بشدة

بجانب «مصطفى أمين» في كثير من أزماته ، وأثناء سنوات سجنه حاولت التوسط لدى القيادة السياسية للإفراج عنه.

## حكاية حُب

وأذكر أنني عندما أجريت حواراً تليفزيونياً مع الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» سألته عن أول لقاء له مع «أم كلثوم» فقال لي: أنا كنت أشتغل نائب رئيس تحرير روزاليوسف عام ١٩٣٣ ورحت لأم كلثوم أعمل معاها حديثاً صحفياً وكانت وقتها ملء السمع والبصر وقدمت نفسي لها باسم «مصطفى محمد» ، وطلبت مني أن أذكر لها أسئلة الحوار، وكان سؤالى الأول هو: إيه رأيك في الحب؟ وكم مرة أحببت؟ وهنا وقفت «أم كلثوم» غاضبة وقالت: انتهت المقابلة ما فيش حديث .. فقلت لها ما فيش حديث يعني حايرفدونى وأنا مسؤول عن أسرة كبيرة. وكده حاتشرد. وصعبت عليها وردت متأثرة: ما فيش مانع بشرط بلاش الأسئلة دي وبالصدفة رن جرس التليفون فحملته وسارت به عدت خطوات بعيداً عني، وأنا حسيت إنها بتكلم راجل، وعندما انتهت المكالمة وعادت، قلت لها: خلاص أنا عرفت جواب سؤالى اللي أغضبك، وعرفت إنك أنت بتحبي. فاحمر وجهها، وسألتنى: إيه اللي إنت عرفتته بالضبط .. فقلت لها: كل شيء ظهر على وشك. فسألتنى أنت حاتكتب الكلام ده؟ قلت لها: طبعا قالت: لأ أرجوك توعدني إنك ما تكتبش ولا كلمة من الكلام ده ووعدها

بذلك ولم أكتب أي شيء عن هذا الموقف فاتصلت بي تشكرني ومن هنا بدأت الصداقة تتوطد بيننا. وكثيراً ما حدثني الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» عن «أم كلثوم» التي صادقها وعشقونها الجميل وكان أحد المقربين جداً إليها.. فيقول: إن عبقرية أم كلثوم تكمن في كونها فلاحه بسيطة استطاعت أن تعلم نفسها وترتقي بنفسها، وعلى رغم ما وصلت إليه من شهرة ومجد فكثيراً ما رأيتها في حالة قلق شديد قبل صعودها على المسرح فتظل تقرأ القرآن وتدعو أن يوفقها الله، وتسأل من حولها والمقربين منها عن رأيهم فيما ستغنيه.

## لا بُخل، ولا جُحود

وضمن رحلة غوصي التي رحلت أستكشف فيها كل شيء عن أم كلثوم التقيت بواحدة من صديقات كوكب الشرق اللائي اقتربن منها إلى أقصى حد، وهي السيدة «عبدية عبد الله» وسألته سؤالاً مباشراً: هل كانت أم كلثوم بخيلة كما أشيع عنها؟ قالت: بالعكس.. كانت «ثومة» من أكرم الناس خاصة تجاد أهلها وتجاه الفقراء، وأذكر أنني قلت لها عندما شاهدتها تقوم بعمل خيري كبير: «ليه يا ست ما بتعلنيش عن الحاجات الخيرية الكثيرة اللي بتعملها عشان ده يرد على الناس اللي بتتهمك بالبخل».. ضحكت ثومة وقالت: «أنا ما يهمنيش الناس.. وبعدين إشاعة إنسي بخيلة بتحميني من المتطفلين والطامعين والمستغلين اللي

بينظروا للفنان نظرة فيها حقد وطمع وابتزاز.  
وتواصل السيدة «عبدية» وتقول: في رمضان والمواسم الدينية كانت «أم كلثوم» تحرص على أن تجهز مائدة تكفي لأربعين شخصاً من أفضل المأكولات، وكان ده قبل ما تنتشر موضة موائد الرحمن. أما الإعلامية «مشيرة كامل» ابنة المؤرخ الموسيقي الكبير «محمود كامل» الذي ارتبط بصداقة وطيدة مع أم كلثوم، فقد سألتها عما أثير عن جحود أم كلثوم للفنان «محمد القصبجي» حسبما ذكرت د. «رتيبة الحفني» في إحدى ندواتها، وتخليها عنه كملحن والاكتفاء بدوره كعازف عود في فرقتهما، فأكدت أن للموسيقار «محمد القصبجي» دوراً مهماً، ومحورياً في مسيرة أم كلثوم، فهو الذي قدم لها عشرات الألحان التي قادتتها إلى سلم النجومية والتألق، ولعلنا نذكر لحنه الرائع لها «رق الحبيب»، وتقول «مشيرة كامل»: إنها كثيراً ما كانت تشاهد أم كلثوم والقصبجي أثناء زيارتهما لمنزل والدها، وكانت ترصد الاحترام الشديد والتقدير الذي تكنه أم كلثوم للقصبجي.

## هدية لـ «بليغ حمدي»

ويحكي لي الإعلامي الكبير «وجدي الحكيم» واقعة تؤكد حرص وتقدير أم كلثوم للمتعاملين معها، ويذكر أنها كانت شديدة التدقيق في مواعيد البروفات في الوقت الذي كان فيه الموسيقار الراحل «بليغ حمدي» ينتمي لفريق غير المنضبطين في مواعيدهم

مع كوكب الشرق، وكانت تعضب غضباً شديداً منهم، وفي إحدى البروفات وصل «بليغ» متأخراً، فألغت «أم كلثوم» البروفة، فراح يسترضيها قائلاً إن التاكسي الذي استقله هو سبب التأخير، واكتشفت «أم كلثوم» يومها أن «بليغ» لا يملك سيارة، فدلته على معرض سيارات معين وقالت له اذهب إلى هذا المعرض واختر أية سيارة هدية مني. وبالفعل ذهب «بليغ» للمعرض واختار أصغر سيارة فيه، وسألته أم كلثوم: لماذا لم تختار سيارة أكبر؟ فقال لها: أنا لا أحب السيارات الكبيرة.

## لِقَاءُ السَّحَابِ

وظل السؤال عن تأخر لقاء السحاب بين العملاقين «ثومة» و«عبد الوهاب» طوال السنوات التي تألق فيها كل منهما في سماء الفن، فراضاً نفسه. ويجيب مصطفى أمين عن هذا السؤال في حديثي التلفزيوني والذي أجرته معه قبل شهر من رحيله حيث قال لي: لقد حاولت من خلال علاقتي المتميزة بالقطبيين أن أحقق هذا اللقاء، ونجحت في أوائل الأربعينات أن أقنعهما بالاشتراك معا في فيلم عن «المظ وعبد الحامول»، فوافقا وتم الاتفاق على كل التفاصيل لكن أم كلثوم اشترطت أن يقوم بتلحين أغانيها في الفيلم «زكريا أحمد»، و«القصبي»، و«السنباطي»، في الوقت الذي تمسك «عبد الوهاب» بتلحين جميع أغاني الفيلم. وتمضي السنوات ويتحقق الحلم: لقاء السحاب بأمر رئاسي عندما

حضر الرئيس «عبد الناصر» أحد احتفالات ٢٣ يوليو. الذي كان يشارك فيه «محمد عبد الوهاب»، و«أم كلثوم»، وفي الاستراحة أبدى رغبته لهما بأن تجمعهما أغنية مشتركة، ولم يكن أمامها سوى الاستجابة فكانت رائعة «أنت عمري» التي تلتها روائع أثرت ساحة الطرب العربي.

## مع عبد النَّاصر

ارتبطت أم كلثوم بعلاقات حميمة مع رجال ثورة يوليو وتشكلت بينها وبينهم علاقة إعجاب مبكرة بدأت منذ أن كان «جمال عبد الناصر» محاصراً في الفالوجا عام ١٩٤٨ في الوقت الذي كان يحرص فيه مع زملائه الضباط على الاستماع لحفلات «أم كلثوم» مساء الخميس من أول كل شهر. وهناك قصة شهيرة تقول: إن «عبد الناصر» أرسل من جبهة القتال رسالة باسمه ومجموعة الضباط زملائه يطلب من «أم كلثوم» أن تغني لهم وهم في الحصار أغنية «غلبت أصالح في روعي» ولبت «أم كلثوم» طلبهم، وبعد أن نجحت الثورة حرص الضباط الأحرار على أن يكون لأم كلثوم مكانة مرموقة فارتبطت بصداقات شخصية بالكثيرين منهم ويعائلاتهم، وكثيراً ما غنت للثورة وقائدها. ويذكر أنه عندما منع أحد الضباط المسئول عن الإذاعة أغاني أم كلثوم بحجة أنها تمثل العهد البائد غضب الرئيس «عبد الناصر» غضباً شديداً وقال: إن الهرم أيضاً من العهد البائد فاهدموه.

وفي حديث لي مع الكاتب الراحل «محمد تبارك» ذكر تفاصيل كثيرة عن حزن «أم كلثوم» عند وفاة «عبد الناصر» حيث كان «تبارك» يرافقها في موسكو، وحاولت بكل الوسائل أن تعود إلى مصر فور سماعها الخبر، لكن التعليمات في ذلك الوقت في موسكو كانت تمنع أي شخص من المغادرة في غير اليوم المحدد له، فأصرت «أم كلثوم» على إقامة صلاة الغائب على روح «جمال عبد الناصر»، وأصابها حزن عميق وصل إلى درجة الاكتئاب.



هل تزوجت  
محمود الشريف؟



عندما سقطت من فوق المسرح



مع نوار بوليو